الرحـلة الثامنة

أَمَّا بَعْدُ: فَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ.

أَسْأَلُ اللهَ بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى وَصِفَاتِهِ الْمُثْلَى أَنْ يَرْزُقَنَا السَّلَامَةَ فِي الدِّينِ، وَالصِحَةَ فِي الْمُعْتَقَدِ، وَالْعَافِيَةَ فِي الْبَدَنِ، وَالْقَبُولَ فِي الْعَمَلِ، وَالصَّلَاحَ فِي النَّفْسِ وَالْأَهْلِ وَالْوَلَدِ، وَالْبَرَكَةَ فِي الْعِلْمِ وَالْمَالِ الْمُكْتَسَبِ، وَالتَّوْفِيقَ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى تَوْحِيدِهِ فِي الْخَلْقِ وَالْعَدَدِ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الرُّكَّابُ، نَدْعُوكُمْ إِلَى مُصَاحَبَتِنَا فِي هَذِهِ الرِّحْلَةِ الثَّانِيَةِ إِلَى دِيَارِ الْآخِرَةِ عَبْرَ سَفِينَتِكُمُ الْمَاخِرَةِ، فَارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا. فَأَتَوْا بِهَا مُنْشَرِحَةً صُدُورُكُمْ، وَعُمَّالُهَا يُحَيُّونَكُمْ قَائِلِينَ: مَرْحَبًا بِكُمْ.

خُذُوا أَمَاكِنَكُمْ كَمَا تَعَوَّدْتُمْ، وَاسْتَحْضِرُوا نِيَّةَ التَّعَبُّدِ لِرَبِّكُمْ بِالْإِقْبَالِ عَلَى هَذِهِ الطَّاعَةِ، بِاخْتِيَارِكُمْ مُرَافَقَتَنَا فِي رِحْلَتِنَا هَذِهِ، وَنَحْنُ نَسْعَدُ بِذَلِكَ وَنَتَمَنَّى لَكُمْ قَضَاءَ أَوْقَاتٍ مُمْتِعَةٍ وَتَحْصِيلَ عُلُومٍ نَافِعَةٍ. فَاسْمَعُوا وَعُوا وَافْهَمُوا، وَاعْزِمُوا عَلَى الْعَمَلِ بِمَا عَلِمْتُمْ، وَادَّخِرُوا ذَلِكَ لِأَنْفُسِكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ، يَنْفَعُكُمُ اللهُ بِهِ يَوْمَ تَلْقَوْنَهُ، يَوْمَ مُحَاسَبَتِكُمْ وَمُجَازَاتِكُمْ.

مَعْشَرَ الْإِخْوَةِ الْمُسَافِرِينَ: تَفَقَّدُوا أَمْتِعَتَكُمْ وَزَادَكُمْ، وَانْتَبِهُوا إِلَى أَنْفُسِكُمْ وَإِلَى مَنْ يَصْحَبُكُمْ. فَالْأَعْمَارُ قَصِيرَةٌ، وَالْأَعْمَالُ كَثِيرَةٌ، وَالْوَاجِبَاتُ عَدِيدَةٌ وَمُتَنَوِّعَةٌ. وَإِنَّ عَلَى رَصْدِ الطَّرِيقِ إِبْلِيسَ وَأَعْوَانَهُ، يَقْعُدُونَ لَكُمْ كُلَّ مَقْعَدٍ، وَيَكُونُونَ لَكُمْ فِي كُلِّ

يَا عَبْدَ اللهِ، ارْكَبْ مَعَنَا السَّفِينَةَ الْمَاخِرَةَ إِلَى الدِّيَارِ الْآخِرَةِ

مَرْصَدٍ، يُزَيِّنُونَ لَكُمُ الْفُرَصَ لِإِعَاقَتِكُمْ، وَيَنْصِبُونَ لَكُمْ مَصَائِدَهُمْ. هُمْ قُطَّاعُ طُرُقِ الْهُدَى وَالرَّشَادِ، يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ، عَازِمُونَ عَلَى قَطْعِ الطَّرِيقِ عَلَيْكُمْ أَثْنَاءَ سَيْرِكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ. وَمَعَهُمْ سُرَّاقُ الْوَقْتِ وَلُصُوصُ الزَّمَنِ، فَاحْذَرُوهُمْ وَانْتَبِهُوا.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: 208]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ...﴾ [النور: 21].

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الرُّكَّابُ، وَصَلَتْ إِلَيْنَا الْإِشَارَةُ الْمُؤْذِنَةُ بِبَدْءِ انْطِلَاقِ الرِّحْلَةِ الثَّامِنَةُ مِنْ رِحْلَاتِنَا الْبَحْرِيَّةِ عَبْرَ السَّفِينَةِ الْمَاخِرَةِ إِلَى الدِّيَارِ الْآخِرَةِ. إِنَّنَا سَنَنْطَلِقُ -إِنْ شَاءَ اللهُ- مِنْ نَفْسِ الْمِينَاءِ السَّابِقِ، "**مِينَاءِ الِاحْتِضَارِ**"، لِتَتَابُعِ الْحَدِيثِ حَوْلَ هَذَا الْمَوْضُوعِ. وَقَدْ وَقَفَ بِنَا الْكَلَامُ فِي الرِّحْلَةِ السَّابِقَةِ فِي مَوْطِنِ نُزُولِ الْمَوْتِ بِالْمُحْتَضَرِ، حِينَ يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى الْمَلَائِكَةَ الْمُكَلَّفَةَ بِقَبْضِ الرُّوحِ أَنْ تَنْزِلَ حَيْثُ يَحْتَضِرُ هَذَا الْعَبْدُ، لِتُنَفِّذَ فِيهِ أَمْرَ اللهِ تَعَالَى بِقَبْضِ رُوحِهِ. يَقُودُهُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْهِ بِمُهِمَّةِ قَبْضِ الرُّوحِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: 11].

وَلْتَنْتَبِهْ يَا عَبْدَ اللهِ، فَإِنَّ الَّذِي يَقْبِضُ الرُّوحَ اسْمُهُ "**مَلَكُ الْمَوْتِ**"، وَلَيْسَ اسْمُهُ "**عِزْرَائِيلَ**" كَمَا يَعْتَقِدُ كَثِيرٌ مِنْ جَهَلَةِ الْمُسْلِمِينَ.

مَعْشَرَ الْإِخْوَةِ الرُّكَّابِ، وَحَتَّى نَسْتَحْضِرَ هَذَا الْمَشْهَدَ الْمَهِيبَ، يَحْسُنُ بِنَا -تَحْقِيقًا لِلْفَائِدَةِ وَتَحْصِيلًا لِلْمَنْفَعَةِ- أَنْ نَذْكُرَ بَعْضَ عَلَامَاتِ حُسْنِ الْخَاتِمَةِ وَسُوئِهَا، الَّتِي نَبَّهَ عَلَيْهَا أَهْلُ الْعِلْمِ فِي مُصَنَّفَاتِهِمْ.

عَلَامَاتُ حُسْنِ الْخَاتِمَةِ:

جَعَلَ اللهُ تَعَالَى بِفَضْلِهِ وَمَنِّهِ عَلَامَاتٍ مُبَشِّرَةً بِحُسْنِ خَاتِمَةِ هَذَا الْمُحْتَضَرِ الْمُفَارِقِ لِلدُّنْيَا، مِنْهَا:

- **التَّلَفُّظُ بِكَلِمَةِ التَّوْحِيدِ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)**: لِمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ**" رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

وَجَاءَ عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ عُمَرَ رَآهُ ثَقِيلًا، فَقَالَ: "مَا لَكَ يَا أَبَا فُلَانٍ؟ لَعَلَّهَا سَاءَتْكَ إِمْرَةُ ابْنِ عَمِّكَ؟". قَالَ: "لَا... وَلَكِنِّي سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَدِيثًا مَا مَنَعَنِي أَنْ أَسْأَلَهُ عَنْهُ إِلَّا الْقُدْرَةُ عَلَيْهِ حَتَّى مَاتَ، سَمِعْتُهُ يَقُولُ: "**إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَا يَقُولُهَا عَبْدٌ عِنْدَ مَوْتِهِ إِلَّا أَشْرَقَ لَهَا لَوْنُهُ وَنَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَتَهُ**."" فَقَالَ عُمَرُ: "إِنِّي لَأَعْلَمُ مَا هِيَ". قَالَ طَلْحَةُ: "وَمَا هِيَ؟". قَالَ عُمَرُ: "تَعْلَمُ كَلِمَةً أَعْظَمَ مِنْ كَلِمَةٍ أَمَرَ بِهَا عَمَّهُ عِنْدَ الْمَوْتِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟". قَالَ طَلْحَةُ: "صَدَقْتَ، هِيَ وَاللهِ هِيَ". (رَوَاهُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ).

يَا عَبْدَ اللهِ، ارْكَبْ مَعَنَا السَّفِينَةَ الْمُاخِرَةَ إِلَى الدِّيَارِ الْآخِرَةِ

- **الْمَوْتُ بِرَشْحِ الْجَبِينِ (أَيْ عَرَقِ الْجَبِينِ)** :لِحَدِيثِ بُرَيْدَةَ بْنِ الْحُصَيْبِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّهُ كَانَ بِخُرَاسَانَ، فَعَادَ أَخًا لَهُ وَهُوَ مَرِيضٌ، فَوَجَدَهُ بِالْمَوْتِ، وَإِذَا هُوَ يَعْرَقُ جَبِينُهُ، فَقَالَ: "اللهُ أَكْبَرُ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **"مَوْتُ الْمُؤْمِنِ بِعَرَقِ الْجَبِينِ"** رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

- **الْمَوْتُ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ أَوْ نَهَارَهَا** :لِقَوْلِهِ ﷺ : **"مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَوْ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ، إِلَّا وَقَاهُ اللهُ فِتْنَةَ الْقَبْرِ** ."رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

- **الشَّهَادَةُ فِي أَرْضِ الْمَعْرَكَةِ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا** :وَلِلشَّهِيدِ خِصَالٌ سِتٌّ:

أبي قُتَيْبَة عُمَر بْن مُحَمَّد الطَّاهِر شَابِي

1. يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دُفْعَةٍ مِنْ دَمِهِ.
2. وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ.
3. وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ.
4. وَيَأْمَنُ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ.
5. وَيُحَلَّى حُلَّةَ الْإِيمَانِ.
6. وَيُزَوَّجُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ.

- **الْمَوْتُ بِالطَّاعُونِ، وَالْبَطْنِ، وَالْغَرَقِ، وَالْحَرَقِ، وَالْهَدْمِ**: وَقَدْ صَحَّتِ الْأَحَادِيثُ بِذَلِكَ. كَحَدِيثِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- وَغَيْرِهِ.

- **مَوْتُ الْمَرْأَةِ فِي نِفَاسِهَا بِسَبَبِ وَلَدِهَا**: فَإِنَّ وَلَدَهَا يَجُرُّهَا بِسَرَرِهِ إِلَى الْجَنَّةِ. (رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ).

وَغَيْرُهَا مِمَّا ذُكِرَ مِنَ الْعَلَامَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى حُسْنِ الْخَاتِمَةِ.

عَلَامَاتُ سُوءِ الْخَاتِمَةِ:

وَقَدْ تَظْهَرُ عَلَامَاتُ سُوءِ الْخَاتِمَةِ عَلَى الْمُحْتَضَرِ، نَسْأَلُ اللهَ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ مِنْهَا:

الموقع الرسمي للشيخ: أبي قتيبة عمر بن محمد الطاهر شابي

- مَنْ يَعْسُرُ عَلَيْهِ النُّطْقُ بِكَلِمَةِ التَّوْحِيدِ عِنْدَ أَمْرِهِ بِهَا، أَوْ يَرْفُضُ ذَلِكَ، أَوْ يَقُولُ كَلَامًا غَيْرَهَا.
- الْمَوْتُ عَلَى تَرْكِ الصَّلَاةِ.
- الْمَوْتُ عَلَى كَبِيرَةٍ مِنْ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ، كَمَنْ يَمُوتُ وَهُوَ يَشْرَبُ الْخَمْرَ، أَوْ يَتَعَاطَى الْمُخَدِّرَاتِ، أَوْ يَزْنِي، أَوْ يَقْتُلُ...
- الَّذِي يَمُوتُ وَهُوَ يَسْتَغِيثُ بِمَخْلُوقٍ، يَعْتَقِدُ فِيهِ النَّفْعَ وَالضُّرَّ.
- مَنْ يَسُبُّ الدِّينَ أَوْ يَسُبُّ اللهَ وَيَكْفُرُ نَسْأَلُ اللهَ السَلَامَةَ.
- وَهُوَ قَائِدٌ عَلَى نَشْرِ بِدْعَةٍ عَقَدِيَّةٍ أَوْ تَعَبُّدِيَّةٍ.
- وَهُوَ يَبْكِي عَلَى مُفَارَقَةِ الدُّنْيَا وَلَذَّاتِهَا.

❖ وَهُوَ يُغَنِّي وَيَقُولُ كَلَامًا يُحَرِّكُ الشَّهْوَةَ وَيُفْسِدُ الْحَاضِرِينَ.

❖ وَغَيْرُهَا مِنَ الْعَلَامَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى سُوءِ الْخَاتِمَةِ، نَسْأَلُ اللهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ.

وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ الْقَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- أَنَّ الْعَبْدَ يُعْرَضُ عَلَيْهِ عِنْدَ السَّوْقِ مَا كَانَ يَتَعَلَّقُ بِهِ فِي الدُّنْيَا وَيُكْثِرُ مِنْ ذِكْرِهِ، مِنَ الطَّاعَاتِ أَوِ الْمَعَاصِي. فَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يَقُولُ: "أَرْبَعَةٌ وَنِصْفٌ، خَمْسَةٌ وَنِصْفٌ"، وَآخَرُ يَقُولُ: "السِّلْعَةُ الْفُلَانِيَّةُ نَاقِصَةٌ، وَالدُّكَّانُ الْفُلَانِيُّ مَفْتُوحٌ ."وَقَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي رَوَّادٍ: "حَضَرْتُ رَجُلًا عِنْدَ الْمَوْتِ يُلَقَّنُ: 'لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ'، فَقَالَ: 'أَنَا كَافِرٌ بِمَا تَقُولُ'. قَالَ: فَسَأَلْتُ امْرَأَتَهُ عَنْهُ، فَقَالَتْ: كَانَ مُدْمِنَ خَمْرٍ. فَكَانَ عَبْدُ الْعَزِيزِ يَقُولُ: 'اتَّقُوا هَذِهِ الذُّنُوبَ، فَإِنَّهَا هِيَ الَّتِي أَوْقَعَتْهُ.'"

أبي قُتَيْبَةَ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدٍ الطَّاهِرِ شَابِي

وَقَدْ ذَهَبَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ إِلَى أَنَّهُ قَدْ يَظْهَرُ عَلَى جَسَدِ الْمَيِّتِ بَعْضُ الْعَلَامَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى سُوءِ خَاتِمَتِهِ -وَإِنْ كَانَ الْخَبَرُ يَحْتَاجُ إِلَى دَلِيلٍ- كَاسْوِدَادِ الْجَسَدِ وَتَغَيُّرِ اللَّوْنِ وَالشَّكْلِ إِلَى صُورَةٍ قَبِيحَةٍ. وَاللهُ أَعْلَمُ.

لَكِنَّ الْمُؤَكَّدَ أَنَّ مَنْ عَاشَ عَلَى شَيْءٍ عَامِلًا بِهِ، مُلَازِمًا لَهُ، مُكْثِرًا مِنْهُ، فَإِنَّهُ يُخْتَمُ لَهُ بِهِ. فَأَهْلُ الطَّاعَةِ وَالذِّكْرِ وَالْعِبَادَةِ وَالزُّهْدِ وَالصِّدْقِ يَحْضُرُهُمْ ذَلِكَ عِنْدَ مَوْتِهِمْ. وَقَدْ حَضَرْنَا بَعْضَهُمْ، فَكَانَ أَحَدُهُمْ يَقْرَأُ سُورَةَ الْإِخْلَاصِ، وَآخَرُ كَانَ يَسْأَلُ عَنْ دُخُولِ وَقْتِ الصَّلَاةِ، وَآخَرُ أَخَذَ يُقَبِّلُ الْمُصْحَفَ، وَآخَرُ كَانَتْ آخِرُ كَلِمَاتِهِ: "جَزَاكُمُ اللهُ خَيْرًا."

يَا عَبْدَ اللهِ، ارْكَبْ مَعَنَا السَّفِينَةَ المُاخِرَةَ إِلَى الدِّيَارِ الآخِرَةِ

يَذْكُرُ إِبْرَاهِيمُ، أَحَدُ أَبْنَاءِ الشَّيْخِ الصَّالِحِ مُحَمَّدِ بْنِ صَالِحِ بْنِ عُثَيْمِينَ -رَحِمَهُ اللهُ-، أَنَّهُ كَانَ فِي مَرَضِهِ وَآخِرِ أَيَّامِهِ وَهُوَ فِي الْعِنَايَةِ الْمُرَكَّزَةِ، وَقَدْ وُصِلَتْ بِهِ الْأَجْهِزَةُ، كَانُوا يَسْمَعُونَهُ كَأَنَّهُ يُلْقِي دَرْسًا عَلَى طَلَبَتِهِ. وَيَذْكُرُ ابْنُهُ الْأَكْبَرُ مُحَمَّد قَالَ: "دَخَلْتُ عَلَيْهِ لَيْلَةَ وَفَاتِهِ، فَسَمِعْتُهُ يُلْقِي دَرْسًا عَنِ الغَيْبَةِ."

أَلَا وَأُخْتِمُ كَلَامِي فِي هَذَا الْمَوْطِنِ بِالْقِصَّةِ الْمَشْهُورَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي "مَنَاقِبِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ"، وَابْنُ كَثِيرٍ فِي "الْبِدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ"، وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي "الْحِلْيَةِ"، وَالذَّهَبِيُّ فِي "السِّيَرِ"، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ، وَرِوَايَةٍ أُخْرَى عَنْ صَالِحٍ، أَنَّهُمْ كَانُوا يُلَقِّنُونَهُ وَهُوَ فِي السَّوْقِ، فَيَقُولُونَ لَهُ: "قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ". فَيَقُولُ: "لَا بَعْدُ... لَا بَعْدُ". فَلَمَّا أَفَاقَ، قِيلَ لَهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: "أَتَانِي الشَّيْطَانُ وَاقِفًا بِحِذَائِي، عَاضًّا عَلَى أَنَامِلِهِ، يَقُولُ لِي: فُتَّنِي يَا أَحْمَدُ! فُتَّنِي يَا أَحْمَدُ! فَأَقُولُ لَهُ: لَا بَعْدُ... لَا بَعْدُ... يَعْنِي: حَتَّى أَمُوتَ."

هَكَذَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الرُّكَّابُ، تَرِدُ عَلَيْنَا الْإِشَارَةُ مِنْ غُرْفَةِ الْمُرَاقَبَةِ بِانْتِهَاءِ الرِّحْلَةِ الثَّانِيَةِ. أَرْجُو أَنَّكُمْ قَدِ اسْتَمْتَعْتُمْ مَعَنَا بِمَا أُلْقِيَ فِيهَا. لِذَا، نَعُودُ قَافِلِينَ إِلَى دِيَارِنَا وَأَهْلِينَا وَنَحْنُ نَقُولُ" :**آيِبُونَ، تَائِبُونَ، عَابِدُونَ، لِرَبِّنَا حَامِدُونَ.**"

نَحْمَدُ اللهَ تَعَالَى عَلَى تَوْفِيقِهِ، وَنَسْأَلُهُ الْمَزِيدَ.